الألفة

معنى الأُلْفَة لغةً:

يقال: ألِفته إلفًا -من باب علم- وألفته أنِسْت به، ولزمته وأحببته، والاسم الأُلفة بالضمِّ، والأُلفة أيضًا اسم من الائتلاف، وهو الالتئام والاجتماع.

فهو مُؤْلَفٌ ومأْلُوفٌ... وأَلَّفْتُ بينهم تأْلِيفًا إذا جَمَعْتَ بينَهم بعد تَفَرُّقٍ

لسان العرب)) لابن منظور (9/10).

معنى الأُلْفَة اصطلاحًا:

الأُلْفَة: اتِّفاق الآراء في المعاونة على تدبير المعاش

وقال الرَّاغب: (الإلْفُ: اجتماع مع التئام، يقال: أَلَّفْتُ بينهم، ومنه: الأُلْفَة)

التَّرغيب فِي الْأُلْفَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

- قَالَ تَعَالَى :﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾[آل عِمْرَان : 103]

قَال الرَّاغب الْأَصْفَهَانِيّ : (قوله : وَلاَ تَفَرَّقُواْ حَثٌّ عَلَى الأُلْفَة وَالِاجْتِمَاع ، الَّذِي هُوَ نِظَامُ الْإِيمَانِ وَاسْتِقَامَة أُمُور الْعَالِم ، وَقَد فضَّل المحبَّة والأُلْفَة عَلَى الإِنصاف وَالْعَدَالَة ، لأنَّه يحُتاج إلَى الإِنصاف حَيْث تَفَقَّد المحبَّة . وَلِصِدْق محبَّة الْأَب لِلِابْن صَار مؤتمنًا عَلَى مَالِهِ ، والأُلْفَة أَحَدُ مَا شرَّف اللَّهُ بِهِ الشَّريعة سيَّما شَرِيعَة الإِسلام)

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾[آل عمران: 103]

قال القرطبي: في قوله تعالى: وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ (أي: جمع بين قلوب الأوس والخزرج. وكان تألُّف القلوب مع العصبيَّة الشَّديدة في العرب مِن آيات النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ومعجزاته؛ لأنَّ أحدهم كان يُلْطَم اللَّطمة فيقاتل عنها حتى يستقيدها. وكانوا أشدَّ خَلْق الله حميَّة، فألَّف الله بالإيمان بينهم، حتى قاتل الرَّجل أباه وأخاه بسبب الدِّين. وقيل: أراد التَّأليف بين المهاجرين والأنصار. والمعنى متقارب) ((الجامع لأحكام القرآن)) (8/42).((الجامع لأحكام القرآن)) (8/42).

التَّرغيب في الألفة في السُّنَّة النَّبويَّة

وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن يأْلَف ويُؤْلَف، ولا خير فيمن لا يأْلَف ولا يُؤْلَف))

عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((خيار أَئِمَّتِكُم : الَّذِين تحبُّونهم ويحبُّونكم ، ويصلُّون عَلَيْكُم ، وتصلُّون عَلَيْهِم ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمْ : الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ ))

إنَّ خِيَار النَّاس فِي نَظَرِ الشَّرع هُمْ الَّذِينَ يأْلَفون ويُؤْلَفون ، وخاصَّة حِين يَكُونُونَ فِي مَنْصِبِ أَوْ مسؤوليَّة ، إذْ قَدْ ينزلقون إلَى صورٍ مِن الْغِلْظَة والجفوة حِين يَكُونُون مَطْلُوبَيْنِ لَا طالبين.

- وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((النَّاس مَعَادِن كمعادن الفضَّة والذَّهب ، خِيَارُهُمْ فِي الجاهليَّة خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إذَا فَقِهُوا ، وَالْأَرْوَاح جنودٌ مجنَّدة ، مَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ ))

وهذا مِن أكبر نعم الله في بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن ألَّف به بين قوم قويت بينهم العصبيَّات، وينبغي أن يكون شأن المسلم هكذا: يؤلِّف بين المتفرِّقين ويأتلف حوله المحبون.

أقوال السَّلف والعلماء في الأُلْفَة

- عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : رَأَى ابْنُ عبَّاس رجلًا فَقَال : (إنَّ هَذَا ليحبُّني . قَالُوا : وَمَا عِلْمُك ؟ قَال : إنِّي لأحبُّه ، وَالْأَرْوَاح جنودٌ مجنَّدة ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اختلف)

- وَعَن الأوزاعيِّ قَال : كَتَب إليَّ قَتَادَة : إنْ يَكُنْ الدَّهر فرَّق بَيْنَنَا فإنَّ أُلْفَة اللَّه الَّذي ألَّف بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قَرِيبٌ

- وَقَالَ يُونُسُ الصَّدفي : (ما رَأَيْت أَعْقِل مِن الشَّافعي ، نَاظَرْتُه يومًا فِي مَسْأَلَةِ ، ثمَّ افْتَرَقْنَا ، وَلَقِيَنِي ، فَأَخَذَ بِيَدِي ، ثمَّ قَال : يَا أَبَا مُوسَى ، ألَا يَسْتَقِيمُ أَنْ نَكُونَ إخوانًا وَإِنْ لَمْ نتَّفق فِي مسألة)

- وَقَال السُّلمي : (وأصل التَّآلف هُوَ بُغْضُ الدُّنْيا وَالْإِعْرَاضُ عَنْهَا ، فَهِيَ الَّتِي تُوقِعُ الْمُخَالَفَةِ بَيْنَ الإخوان)

- وَقَال الماورديُّ : (الإنسان مَقْصُودٌ بالأذيَّة ، مَحْسُودٌ بالنِّعمة . فَإِذَا لَمْ يَكُنْ آلفًا مألوفًا تخطَّفته أَيْدِي حَاسِدِيهِ ، وتحكَّمت فِيهِ أَهْوَاءُ أَعَادِيهِ ، فَلَمْ تَسْلَمْ لَهُ نِعْمَةٌ ، وَلَم تَصْفُ لَه مُدَّة . فَإِذَا كَانَ آلفًا مألوفًا انْتَصَر بالأُلْفَة عَلَى أَعَادِيهِ ، وَامْتَنَع مِن حَاسِدِيه ، فسَلِمت نِعْمَتُهُ مِنْهُمْ ، وصَفَت مُدَّتُه عَنْهُم ، وَإِنْ كَانَ صَفْوُ الزَّمان عُسْرًا ، وسِلمُه خَطَرًا)

وقال ابن تيمية: (إنَّ السَّلف كانوا يختلفون في المسائل الفرعيَّة، مع بقاء الأُلْفَة والعصمة وصلاح ذات البين)

- وقال الأبشيهي: (التَّآلف سبب القوَّة، والقوَّة سبب التَّقوى، والتَّقوى حصنٌ منيع وركن شديد، بها يُمْنَع الضَّيم، وتُنَال الرَّغائب، وتنجع المقاصد)

فوائد الأُلْفَة

1- قيام الأُلْفَة بين المؤمنين مِن أسباب النَّصر والتَّمكين.

2- الأُلْفَة تجمع شمل الأمَّة وتمنع ذلَّهم.

3- الأُلْفَة سببٌ للاعتصام بالله وبحبله.

4- الألفة من أسباب محبَّة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

5- تُحقق التَّماسك الاجتماعي، وتُشيع روح المودَّة بين المسلمين.

6- داعية إلى التَّناصر وسلامة المجتمع المسلم.

7- توفِّر جوًّا اجتماعيًّا سليمًا لنمو الإنسان المسلم نموًّا سليمًا في إطار مبادئ الإسلام.

8- داعية إلى التَّوحد الاجتماعي، ونبذ أسباب الفُرْقة والمعاداة.

9- تُشيع التَّعاون بين المسلمين، وفي ذلك مدعاة لرضا الله تعالى ثمَّ رضا النَّاس.

# أسباب الأُلْفَة

# هناك أسبابٌ كثيرةٌ تؤدِّي إلى الأُلْفَة والمحبَّة، وتقوي الروابط والعلاقات بين أفراد المجتمع المسلم فمنها: 1- التَّعارف ومعاشرة النَّاس: قال صلى الله عليه وسلم: ((الأرواح جنودٌ مجنَّدة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف))(1). 2- التَّواضع: إنَّ (خفض الجنَاح ولين الكَلِمَة وتَرْك الإغلاظ مِن أَسبَاب الأُلْفَة واجتماع الكَلِمَة وانتظام الأَمر ولهذا قيل: مَن لانت كلمته وجبت محبَّته وحَسُنَت أُحدُوثته، وظمئت الْقُلُوب إلى لقائه وتنافست في مودته)(2). قال ابن عثيمين: (وظيفة المسلم مع إخوانه، أن يكون هيِّنًا ليِّنًا بالقول وبالفعل؛ لأنَّ هذا ممَّا يوجب المودَّة والأُلْفَة بين النَّاس، وهذه الأُلْفَة والمودَّة أمرٌ مطلوبٌ للشَّرع، ولهذا نهى النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام عن كلِّ ما يوجب العداوة والبغضاء)(3). 3-القيام بحقوق المسلمين والالتزام بها: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((حق المسلم على المسلم خمسٌ: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس))(4). (فهذه الحقوق التي بيَّنها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم كلَّها إذا قام بها النَّاس بعضهم مع بعض، حَصل بذلك الأُلْفَة والمودَّة، وزال ما في القلوب والنُّفوس مِن الضَّغائن والأحقاد)(5). ومن ذلك: 4- إفشاء السَّلام: قال صلى الله عليه وسلم: ((يا أيُّها النَّاس أفشوا السَّلام، وأطعموا الطَّعام، وصلوا الأرحام، وصلُّوا باللَّيل والنَّاس نيام، تدخلوا الجنَّة بسلام))(6). (قال الإمام الرَّازي: الحكمة في طلب السَّلام عند التَّلاقي والمكاتبة دون غيرهما: أنَّ تحيَّة السَّلام طُلِبت عند ما ذكر؛ لأنَّها أوَّل أسباب الأُلْفَة، والسَّلامة التي تضمنها السَّلام هي أقصى الأماني فتنبسط النَّفس -عند الاطِّلاع عليه- أيَّ بسطٍ، وتتفاءل به أحسن فأل)(7).

# 5- زيارة المسلم وعيادته إذا مرض: فزيارة المسلم لأخيه المسلم تبعث على الحبِّ والإخاء، ولا سيَّما عند المرض، مع ما أعده الله من الأجر والثواب له قال صلى الله عليه وسلم: ((مَن عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله، ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك، وتبوَّأت مِن الجنَّة منزلًا))(8).

# 6- الكلام اللَّين: فالكلام اللَّين والطَّيب مِن الأسباب التي تؤلِّف بين القلوب، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[الأسراء: 53]. 7- التَّعفُّف عن سؤال النَّاس: قال صلى الله عليه وسلم: ((وازهد فيما في أيدي النَّاس يحبَّك النَّاس))(9). 8- السَّعي للإصلاح بين النَّاس: قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ﴾[الأنفال: 1].

# 9- الاهتمام بأمور المسلمين والإحساس بقضاياهم: قال صلى الله عليه وسلم: ((المؤمنون كرجل واحد، إذا اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمَّى والسَّهر))(10). 10- التَّهادي: لا شك أن تقديم الهديَّة يزيد مِن الأُلْفَة والمحبَّة والتَّقارب بين المهدي والـمُهْدَى إليه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: ((تهادوا تحابُّوا))(11). 11- حسن الخلق: قال الغزالي: (اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق، والتفرق ثمرة سوء الخلق‏، فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ومهما كان المثمر محمودًا كانت الثمرة محمودة)(12). وقد أرجع الماورديُّ أسباب الأُلْفَة إلى خمسة أسباب رئيسة: وهي: الدِّين والنَّسب والمصاهرة والمودَّة والبرُّ، فقال: 1- (فأمَّا الدِّين: وهو الأوَّل مِن أسباب الأُلْفَة؛ فلأنَّه يبعث على التَّناصر، ويمنع مَن التَّقاطع والتَّدابر. وبمثل ذلك وصَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، فروى سفيان عن الزُّهري عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانًا لا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث))(13). وهذا وإن كان اجتماعهم في الدِّين يقتضيه فهو على وجه التَّحذير مِن تذكُّر تراث الجاهليَّة وإحَن الضَّلالة. فقد بُعِث رسول الله صلى الله عليه وسلم والعرب أشدُّ تقاطعًا وتعاديًا، وأكثر اختلافًا وتماديًا، حتى إنَّ بني الأب الواحد يتفرَّقون أحزابًا، فتثير بينهم بالتَّحزب والافتراق أحقاد الأعداء، وإحَن البعداء... 2- وأما النَّسب: وهو الثَّاني مِن أسباب الأُلْفَة؛ فلأن تعاطف الأرحام حميَّة القرابة يبعثان على التَّناصر والأُلْفَة، ويمنعان مِن التَّخاذل والفرقة، أنفة مِن استعلاء الأباعد على الأقارب، وتوقيًا مِن تسلُّط الغرباء الأجانب. وقد رُوِي عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: ((إنَّ الرَّحم إذا تماسَّت تعاطفت))(14). 3- وأمَّا المصاهرة: وهي الثَّالث مِن أسباب الأُلْفَة، فلأنَّها استحداث مواصلة، وتمازج مناسبة، صدرا عن رغبةٍ واختيار، وانعقدا على خيرٍ وإيثار، فاجتمع فيها أسباب الأُلْفَة ومواد المظاهرة. قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[الروم: 21] يعني بالمودَّة المحبَّة، وبالرَّحمة الحنو والشَّفقة، وهما مِن أوكد أسباب الأُلْفَة... 4- وأمَّا المؤاخاة بالمودَّة، وهي الرَّابع مِن أسباب الأُلْفَة؛ لأنَّها تكسب بصادق الميل إخلاصًا ومصافاة، ويحدث بخلوص المصافاة وفاءً ومحاماةً. وهذا أعلى مراتب الأُلْفَة، ولذلك آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه؛ لتزيد ألفتهم، ويقوي تضافرهم وتناصرهم... 5- وأمَّا البرُّ، وهو الخامس مِن أسباب الأُلْفَة، فلأنَّه يوصِّل إلى القلوب ألطافًا، ويثنيها محبَّة وانعطافًا. ولذلك ندب الله تعالى إلى التَّعاون به، وقرنه بالتَّقوى له، فقال: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾[المائدة: 2] لأنَّ في التَّقوى رضى الله تعالى، وفي البرِّ رضى النَّاس. ومَن جَمَع بين رضى الله تعالى ورضى النَّاس فقد تمَّت سعادته، وعمَّت نعمته)(15).

قال عليٌّ رضي الله عنه:

عليك بإخوانِ الصفاءِ فإنَّهم

عمادٌ إذا استنجدتهم وظهورُ

وإنَّ قليلًا ألفُ خلٍّ وصاحبٍ

وإنَّ عدوًّا واحدًا لكثيرُ

قال أحمد بن محمَّد بن بكر الأبناوي:

إنَّ القلوبَ لأجنادٌ مجنَّدةٌ

للهِ في الأرضِ بالأهواءِ تعترفُ

فما تعارفَ منها فهو مؤتلفٌ

وما تناكرَ منها فهو مختلفُ

وقال منصور بن محمَّد الكريزي:

فما تبصرُ العينانِ والقلبُ آلفٌ

ولا القلبُ والعينان منطبقان

ولكن هما روحان تعرضُ ذي لذى

فيعرفُ هذا ذي فيلتقيان

وقال: محمَّد بن إسحاق بن حبيب الواسطي:

تعارفُ أرواحُ الرِّجال إذا التقوا

فمنهم عدوٌّ يُــتَّقى وخليلُ

كذاك أمورُ النَّاسِ والنَّاسُ منهم

خفيفٌ إذا صاحبته وثقيلُ

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) رواه البخاري (3336)، ومسلم (2638).

(2) انظر: ((التيسير بشرح الجامع الصَّغير)) للمناوي (1/434).

(3) ((شرح رياض الصالحين)) (2/544).

(4) رواه البخاري (1240)، ومسلم (2612).

(5) ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (2/606).

(6) رواه الترمذي (2485)، وابن ماجه (1334) مِن حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وصحَّحه الترمذي، وقال الحاكم (3/14): صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي، وصحَّحه البغوي في ((شرح السنة)) (4/40).

(7) ((فيض القدير)) للمناوي (1/437).

(8) رواه الترمذي (2008)، وابن ماجه (1443) مِن حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: غريب، وقال الحافظ ابن حجر في ((فتح الباري)) (10/515): له شاهد بإسناد جيد، وحسَّنه الألباني في ((صحيح الجامع)) (6387).

(9) رواه ابن ماجه (4102)، والحاكم (4/348)، والطبراني في ((المعجم الكبير)) (6/193) مِن حديث سهل بن سعد السَّاعدي رضي الله عنه. وضعَّف إسناده البوصيري في ((مصباح الزجاجة)) (4/210)، وصحَّحه الألباني في ((صحيح الجامع)) (922).

(10)  رواه مسلم (2586).

(11) رواه البخاري في ((الأدب المفرد)) (594)، وأبو يعلى (11/9) (6148)، والبيهقي (6/169) (11726). قال العراقي في ((تخريج الإحياء)) (2/53): إسناده جيد. وحسَّن إسناده ابن حجر في ((التلخيص الحبير)) (3/1047)، وحسَّنه الألباني في ((صحيح الأدب المفرد)).

(12) ((إحياء علوم الدين)) (2/157).

(13) رواه البخاري (2076) ومسلم (2558) بلفظ آخر.

(14) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص 149).

(15) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (147-161).